خيبر خيبر يا إخوان!

كم يبدو حظ صديقى – السابق – د.عصام العريان فى جماعة الإخوان مماثلا لحظ د.مصطفى الفقى فى جماعة مبارك المخلوع.

الفقى والعريان كلاهما يبدو مثقفا بطريقة معقولة، وكلاهما لم يبلغ الطموح الذى يرى أنه يستحقه فى جماعته، فلم يصل الفقى، وهو الدبلوماسى القدير، والمثقف زلق اللسان، والمحدث اللبق، لم يصل الفقى فى رحلته مع جماعة مبارك إلى المنصب الذى حلم به، وهو أن يكون وزيرا لخارجية مصر، وكان كلما صعد درجة على السلم الوظيفى، يجد من يدفعه دائما إلى أسفل، وفى روايات الفقى غير الذائعة عما جرى، تجده دائما يشير بأصابع العتب والغيظ والاتهام إلى شخصيات كانت نافذة التأثير أيام مبارك، وإلى أسامة الباز بالذات، وأحيانا إلى عمرو موسى، وبعد الثورة، جرت محاولة أخيره للفقى، وحاول القفز إلى منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية، وحصل على موافقة دول عربية مؤثرة، وعلى جواز عدم ممانعة من المجلس العسكرى الحاكم وقتها، لكن النتيجة النهائية كانت استبعاده وتنصيب وزير الخارجية المصرى د. نبيل العربى أمينا عاما للجامعة العربية، وهكذا أوى الفقى إلى كهف اعتزاله الأخير، واكتفى بختام سجله الوظيفى، والذى كان أرفع منصب فيه هو مندوب مصر الدائم فى الجامعة العربية، مع أنه قبلها بسنوات طويلة، كان قد اقترب جدا من أذن وعقل المخلوع، وكان سكرتير مبارك للمعلومات أواخر ثمانينيات القرن العشرين، وعلى طريقة الفقى ذاتها، تمضى سيرة عصام العريان فى جماعة الإخوان التى حلت مؤقتا محل جماعة مبارك، فالعريان أكثر ثقافة من غالبية أعضاء مكتب الإرشاد، وبدا لوقت فى صورة المثقف الإصلاحى فى جماعة تكره التفكير، وخلا الجو

لدوره بعد فصل الجماعة للرمز الإصلاحى البارز د. عبد المنعم أبو الفتوح، وتصور العريان أن طريقه للقمة بات سالكا، ورشح نفسه لرئاسة حزب الحرية والعدالة التابع للإخوان، وكان يبدو واثقا جدا بالفوز، ومع أن الكل – باستثناء العريان – كانوا يعرفون النهاية مسبقا، فالرجل القوى وصانع الألعاب فى الجماعة المليادير خيرت الشاطر كان له رأى اخر، وهو رجل صامت لا يتكلم إلا لماما، لكن يده الباطشة فعلت فعلها فى انتخابات رئاسة حزب الإخوان، وأسقطت العريان بلمسة يد خفيفة، وأطاحت بالعريان الذى لا ييأس من تكرار المحاولة، وعلى أمل أن ينال الرضا فى جولة تالية، ويصبح رئيسا لحزب الإخوان ومرشحا محتملا لرئاسة مصر باسم الإخوان.

وجه شبه آخر بين الفقى والعريان بدا ظاهرا مع مرور الوقت، وهو المجازفة بإعلان المخبوء الذى تتكتمه جماعته، نظرة خاطفة إلى الخلف قد تفيدنا قليلا، فقد كان الفقى هو الذى اختار نفسه لإعلان سر أسرار جماعة مبارك، وغامر الفقى بالدفاع الصريح عن أولوية خلافة جمال مبارك لأبيه فى الرئاسة، وبطريقة بدت صادمة كاشفة، فقد أعلن الفقى – قبل سنوات – عن الشرط الجوهرى للحلول فى قصر الرئاسة، وهو الرضا الكامل لأمريكا وإسرائيل أولا، وبعد أن تقلبت الأيام، وذهب مبارك الأب، وذهبت فرصة جمال مبارك معه إلى سجن مزرعة طرة، وحل الإخوانى محمد مرسى فى قصر الرئاسة، وذهب زمان مصطفى الفقى، أتى زمن «الفقى» الآخر فى صورة عصام العريان، و «الفقى» فى العامية المصرية هو «الفقيه» فى العربية الفصيحة، والعريان مثقف عصرى يحمل لحية خفيفة تناسب دور الفقيه، وهيئته الشقراء تجعله يبدو كما لو كان أمريكيا متمصرا، وقد عاد العريان مؤخرا من رحله غامضة إلى واشنطن، وتطوع بالمجازفة عوضا عن جماعة الإخوان، وكشف السر الذى تتحرج فى البوح به قيادات الإخوان التقليدية، وأعلن عن مبادرة لقيطة تكشف طبيعة الالتزامات السرية، وتكشف استمرار سريان القاعدة ذاتها التى كشفها مصطفى الفقى قبل

سنوات، فقد أعلن العريان عن مبادرة ترحيب بعودة اليهود من إسرائيل إلى مصر، وعن حقهم فى الحصول على تعويض عن ممتلكاتهم التى تركوها فى مصر، ولم ينس العريان أن يهاجم عبد الناصر «بعبع» إسرائيل والإخوان معا، وأن يتهم عبد الناصر بطرد اليهود وتأميم ممتلكاتهم ، وكان لكلام العريان وقع المفاجأة المفرحة فى إسرائيل، وبين الجاليات اليهودية الصهيونية فى عواصم الغرب، فقد أمطروا العريان بوابل من المديح، ووصفوا العريان بأنه «البطل المحب لليهود»، والرجل الذى اعترف لليهود الصهاينة بحق لم يجرؤ على البوح به مصرى واحد، ولا حتى حسنى مبارك الذى كان يوصف بأنه «أعظم كنز إستراتيجى لإسرائيل»، فما بالك برجل من قادة جماعة الإخوان، والتى بنت رصيدها التاريخى على أساس دينى محض، واعتبرت دوما أن الصراع مع إسرائيل صدام أزلى أبدى مع اليهود، وإلى أن تقول الشجرة للمسلم: «إن ورائى يهوديا فاقتله»، ولا مجال هنا للزعم بمعنى إنسانى أو أخلاقى لهذيان العريان، فهو يعرف يقينا أن من أسماهم «اليهود المصريين» لن يتركوا كيان الاغتصاب الإسرائيلى، ولن يتركوا بيوتهم - كما زعم - لفلسطينيين يعودون إلى أراضيهم المحتلة، ثم إنه يعرف أن عدد «اليهود المصريين» فى إسرائيل قليل جدا، وقد مات غالبهم فى نحو سبعين سنة مضت على بدء الصراع العربى الإسرئيلى، ولن تؤدى مبادرة العريان إلا إلى مزيد من الهلاك لمصر، وأن تفتح أبوابها لأحفاد وأبناء هؤلاء «اليهود المصريين»، وأن يدخلوها آمنين، وأن يقيموا أمام محاكمها دعاوى تعويض عن ممتلكات مزعومة، وأن يحصلوا على الجنسية المصرية إلى جوار الجنسية الإسرائيلية، وهذه هى المكافأة الحقيقية التى حلمت بها إسرائيل، وهى الغزو المباشر العلنى والمسلم به للاقتصاد والموارد المصرية المنهكة، وفتح ملفات مفصلة أعدتها إسرائيل من زمن طويل، وتطلب تعويضات مصرية تقدر بمئات المليارات من الدولارات، وابتزاز مصر على طريقة ابتزاز إسرائيل للألمان إلى الآن، وتأكيد الرواية الصهيونية بأن اليهود كانوا ضحايا عبد الناصر، وأن

الإخوان – بدلالة تصريحات العريان – هم الأقرب مودة للذين «هادوا»، وقالوا «إننا الإسرائيليون»، وهم العون والمدد الذى تستند إليه إسرائيل فى تحقيق حلمها المكتوب على واجهة الكنيست، والذى يقول نصه «من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل»، وقد فتح لهم العريان – باسم الإخوان – طريقا سالكا، وهو ما يفسر تدفق برقيات التهنئة «اليهودية» على الرئيس الإخوانى مرسى بعد تصريحات العريان مستشاره الرسمى، فقد أثبتت الأيام أن مرسى أعظم فائدة لإسرائيل من مبارك، فقد ترك معاهدة السلام مع إسرائيل بلا مساس، ثم تعهد بلجم تصرفات حماس، ثم جاء العريان ليقول للإسرائيليين ما لم يحلموا به يوما، وهو أن يسكنوا مصر كما سكنتم فلسطين، وأن إخوانيا واحدا لن يقول لهم بعد الآن «خيبر خيبر يا يهود»، والسبب بسيط جدا، وهو أن «خيبر خيبر» صارت للإخوان أيضا، فلمصر جيش وشعب يحميها، وسيعلم العريان والإخوان أى منقلب ينقلبون.

"صوت الأمة" فى ٧ من يناير ٢٠١٣